روضة المتصدقين وبشير المنفقين

تأليف:

الدكتور/إبراهيم محمد أبو اليزيد خفاجة

1441هـ - 2020م

طبعة خاصة بالمؤلف

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت
أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
وإن بناها بشر خاب بانيها

إهداء

إلى كل من تاقت نفسه إلى الجنة، وأراد أن يستظل بظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

إلى من أراد أن يداوي أمراضه النفسية والبدنية، وتسمو روحه في رحاب سامقة.

إلى كل من أراد أن يسير على خطى الحبيب مُحَمَّد (ﷺ) ويهتدي بهديه.

إلى كل من أراد أن يكون رفيقا في الجنة للصالحين من الأنبياء والصديقين والشهداء.

إلى كل من أراد أن يبقى عمله، ويدوم أجره، ويخلد ذكره بعد الممات.

أهدي هذا العمل المتواضع راجيا من الله عز وجل أن يجعل فيه النفع والفائدة.... ،،،.

المقدمة

الحمد لله الواحد الحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الجواد الكريم البر الرحيم له الأسماء الحسنى والصفات العلى، تقدست أسماؤه وعز اسمه، وعلا شأنه ذو الجلال والإكرام.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدا عبده ورسوله، خير الخلق وخاتم الرسل، والهادي إلى الحق ذا الخلق العظيم، والنسب الكريم، وصاحب الشفاعة، والنذير المبين بين يدي الساعة، حامل لواء الحمد، وصاحب الحوض، خير من وطأت قدماه الحصى، وأوذي فعفا، وخير من أنفق في سبيل الله وتصدق، ودعا إلى الخير وكان إليه أسبق، فصلاة ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

لقد جاء الذكر الحكيم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويرشدهم إلى الخير والفلاح، وينير لهم طريق الهداية والفوز في الدنيا والآخرة، وقد حمل رسول الله (ﷺ) على عاتقه مهمة تبليغ الدعوة، وكان هو وأصحابه رضوان لله عليه أجمعين مصابيح الدجى التي أنارت الدنيا وأضاءت جنبات الكون، وكان (ﷺ) مثلا حسنا وقدوة صالحة لأصحابه وأتباعه، وسار صحابته الكرام على الدرب نفسه، فكانوا نجوما يهتدي بها، ومشاعل هداية للناس أجمعين.

ومن بين تلك الأمور التي ورد الشرع الحنيف بالأمر بها مرة على سبيل الوجوب ومرة على سبيل الحث والتحبيب، وعمل بها رسوله الكريم (ﷺ) وصحابته الكرام الصدقة والإنفاق في سبيل الله يقول الحق تبارك وتعالى لرسوله الكريم: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (التوبة : 103).

وتعددت الآيات والآثار الدالة على فضلهما وعظيم ثوابهما، فقد قال الله تعالى: ((مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) (البقرة : 245)، وقال تعالى: ((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة : 261)).

وقال رسوله الكريم(ﷺ) : " ما نقص مال من صدقة....".

ثم جاءت سنة النبي (ﷺ) لتؤكد بالقول والفعل على هذا الأمر وتحض عليه، وتبين فضله وعظيم ثوابه، وسار الصحابة ﷺ على الدرب، فمنهم من ترك ماله كله لله، ومن من ترك نصفه، ومنهم من ترك الثلثين، ومنهم من ترك الثلث كل على قدر ما عنده، وحسب مقدرته، ومنهم من تصدق باليسير من المال أو الطعام، أو أعان المحتاج أو تبسم في وجه أخيه حين يلقاه، وغير ذلك من الأمور التي قد نراها هينة ولكنها عند الله عظيمة.

وانطلاقا من قول الحق تبارك وتعالى ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)) (آل عمران : 110).

وعملا بقول الرسول (ﷺ) : " الدال على الخير كفاعله....)، وإيمانا بأن المجتمع المسلم يجب أن يكون كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص كما أخبرنا المصطفى (ﷺ)، ومشاركة لإخواني من أهل الخير والمروءة في نشر الخير والحث عليه والترغيب فيه وفي الثواب المرجو منه وضعت هذا الكتاب الذي اخترت له عنوان (روضة المتصدقين وأنيس المنفقين)، ليكون لهم جنة فيحاء يتفيؤوا في ظلالها الوارفة، ويلقوا بها عصا الترحال، ويتخلصوا فيها من همومهم وأدرانهم النفسية والجسدية، ويقضوا بها أحلى الأوقات وأسعد اللحظات، ويستدركوا ما فاتهم من خير وما حرموا منه من طاعة.

روضة تكون لهم ملاذا آمنا في الدنيا ونعيما مقيما في الآخرة بإذن الله تعالى، وأنيسا صالحا هاديا ومرشدا للخير والثواب العظيم، نعيش خلاله مع آيات من الذكر الحكيم نستظل بظلالها المباركة، ونقطف ثمرات من ثمارها اليانعة، ونأنس بسيرة خاتم النبيين وصفوة المرسلين، وصحابته الغر الميامين، ونعيش لحظات بين أيديهم نستلهم فيها من عبق سيرتهم العطرة العظة والعبرة، ونستحضر عبير أيامهم النضرة فننعش به ذاكرة أيامنا وحاضرنا، وندلف إلى حياة الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين والصالحين لنرى أحوالهم مع الصدقة وأخبارهم مع الإنفاق في سبيل الله، ونعيش لحظات مع بعض المجربين لنرى إنجازات عظيمة تحققت، وآمالا مفقودة عادت إليها الحياة، وأبدانا سقيمة تعافت، ونفوسا مريضة شفيت بفضل الصدقة والإنفاق في سبيل الله.

والآن تعالوا بنا نجوب تلك الروضة ونقطف من أشجارها الوارفة ثمرات يانعة، ونعتبق شذى أزهارها النضرة، ونأنس بتلك الصحبة المباركة ونعيش معها أحلى اللحظات ونقضي بها أجمل الأوقات...، رجيا من الله تعالى التوفيق والقبول، وأن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات وأن ينفع به في الدنيا والآخرة، إنه أكرم مأمول وأعز مسئول، وهو حسبي ونعم الوكيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب،،،.

(المؤلف).

د. إبراهيم مُحَمَّد خفاجة

الرياض في غرة شهر رجب 1428هـ

الإنفاق في سبيل الله:

الإنفاق هو إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات، بهذا قال الأئمة الأربعة، وقد ورد الحث عليه في كثير من آي الذكر الحكيم، فقد جعله الله تعالى صفة للمتقين، ومن ذلك قوله تعالى: (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3)) (البقرة: 1-3).

وجعله صفة للمؤمنين فقال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (الأنفال :2- 3).

وقال تعالى: ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة : 16).

وقال: ((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (الشورى : 38).

وقال: ((قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ) (إبراهيم : 31).

ووصف به المخبتين فقال تعالى: ((الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (الحج : 35).

وجعله دليلا على الإيمان ، وعلامة على مضاعفة الأجر والثواب فقال تعالى: ((أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (القصص : 54).

وقد جعل الله تعالى الإنفاق في سبيله طريقا للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وخير سبيل للإدخار فقال: ((لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) (البقرة : 272).

وقال تعالى: ((وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران : 133- 134).

وقال تعالى: ((قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (سبأ : 39).

وقال تعالى: ((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(261) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة : 261- 262).

بل إن الإنفاق في سبيل الله تعالى أحد الطرق الموصلة إلى البر، وهو اسم جامع لكل خير، فقد قال الله تعالى: ((لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران : 92).

كما ورد الحث عليه في العديد من أحاديث النبي (ﷺ)، حيث قال (ﷺ): " إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت

ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئا"[1].

وقال (ﷺ): "إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة" [2].

وقال (ﷺ): "إن الله قال لي أنفق أنفق عليك"[3].

وقال (ﷺ): "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك"[4].

وقال (ﷺ): "سبعة يظلهم الله تعالى بظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"[5].

وقال (ﷺ): "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا"[6].

([1]) رواه البخاري ومسلم.

([2]) رواه البخاري ومسلم.

([3]) متفق عليه.

([4]) رواه مسلم.

([5]) رواه البخاري ومسلم.

([6]) متفق عليه.

وقال (ﷺ): " من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف"[1].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، في معنى قوله تعالى: (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة : 245).

"صدر سبحانه وتعالى الآية بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر، والمعنى هل أحد يبذل هذا القرض الحسن فيجازى عليه أضعافا مضاعفة؟....

وحيث جاء هذا القرض في القرآن قيده بكونه حسنا، وذلك يجمع أمورا ثلاثة:

أولها: أن يكون من طيب ماله، لا من رديئه وخبيثه.

ثانيها: أن يخرجه طيبة به نفسه، ثابتة عند بذله.

ثالثها: أن لا يمن به ولا يؤذي.

ثم علق على ذلك قائلا: فالأول: يتعلق بالمال. والثاني: يتعلق بالمنفق بينه وبين الله. والثالث: بينه وبين الآخذ"[2].

([1]) رواه النسائي وصححه الألباني.

([2]) انظر: زاد المعاد لابن القيم.

فضل الإنفاق في سبيل الله

للإنفاق في سبيل الله تعالى فضل كبير وثواب عظيم في الدنيا والآخرة، فهو كما ذكرنا من صفات المؤمنين، وشيم المتقين، ودليل على صدق الإيمان وإخلاص النية، وحسن المعاملة.

كما أنه خير طريق ينفق فيه المال، وخير مجال للكنز والادخار، ومضاعفة المال ومضاعفة الأجر والثواب، بل إنه طريق للبر، والفوز برضى الرحمن عز وجل، ودخول الجنة والنجاة من النار، فقد قال الله تعالى: ((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(261) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة : 261- 262).

وقال النبي (ﷺ) عندما سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى: "أحب الإعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم تفرج عنه كربة أو تقضي عنه دينا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا"[1]. يقصد مسجد المدينة.

ولا شك أن تفريج الكرب أو قضاء الدين يحتاج في غالب الأحوال إلى بذل المال، والإنفاق منه لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي تعد من أحب الأعمال إلى الله تعالى.

([1]) موسوعة الحديث النبوي.

والإنفاق كما يفهم من الحديث لا يشترط أن يكون بالمال فقط، بل إن بذل الوقت في قضاء الحاجات، أو إدخال السرور على قلب المسلم ولو بالكلمة الطيبة، ولو بالابتسام في وجهه عند اللقاء يعتبر من هذا القبيل.

والإنفاق في سبيل الله دليل على تماسك المجتمع المسلم، وخيرية أمة الإسلام، التي قال الله تعالى عنها: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)) (آل عمران : 110).

وعملا بقول النبي (ﷺ): " المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" ثم شبك بين أصابعه[1].

والإنفاق في سبيل الله تعالى أحد وجوه التعاون التي أمر الله تعالى بها المجتمع المسلم، فقد قال الله تعالى: ((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (المائدة : 2).

والإنفاق في سبيل الله سبب ليكون للعبد عون من الله تعالى فقد قال النبي (ﷺ): " الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[2].

وهو سبب في دعاء الملائكة للعبد، حيث يدعون للمنفق بالخلف والبركة، فقد قال النبي (ﷺ):"ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا"[3].

([1]) انظر: السابق.

([2]) انظر: السابق.

([3]) متفق عليه.

وهو سبب ليكون العبد في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، فقد قال النبي (ﷺ): "سبعة يظلهم الله تعالى بظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"[1].

والإنفاق في سبيل الله تعالى دليل على شكر العبد لربه على ما أنعم به عليه من النعم، وأداء لحقه تعالى فيها، فقد قال الله تعالى: ((آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)) (الحديد : 7).

وقد وعد الله تعالى من شكره بالمزيد فقال تعالى: ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)) (إبراهيم : 7). فهنيئًا لمن أنتفق في سبيل الله تعالى، و باع الدنيا واشترى الآخرة، فكان في ظل الله تعالى، وأكرم بمضاعفة الأجر، وفاز بالزيادة، وكان من الناجين من الفزع الأكبر، الفائزين برضى الرحمن الرحيم، وكان ممن وعدهم الله تعالى بالخلف في الدنيا والآخرة. وكان ممن تحلى بأخلاق الأنبياء وشيم الصالحين، وكان ممن ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال فيهم: ((أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (القصص : 54).

وكان من الذين سارعوا إلى مغفرة من الله وجنة عرضها عرض السماوات والأرض، الذين استجابوا لقول الله تعالى: ((وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن

([1]) رواه البخاري ومسلم.

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران : 133- 134).

وطوبى لمن أنفق في سبيل الله في السراء والضراء، وطوبي لمن كان في ظل صدقته يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

آداب الإنفاق في سبيل الله

للإنفاق في سبيل الله تعالى شروط وآداب يجب أن يتحلى بها المنفق، بل إن هذه الآداب تعد شرطا في قبول العمل، ومن ذلك ما يلي:

***–النية الصالحة:**

صلاح العمل من صلاح النية، والنية هي القصد، وما يعقده الإنسان في قلبه وينويه في نفسه، فإذا كانت النية صالحة صلح العمل، وإذا فسدت فسد العمل، بل إن الإنسان قد يثاب على نيته الصالحة وإن لم يفعل العمل، كما قد يأثم على نيته وإن لم يفعل شيئًا مصداقا لقول الله تعالى: ((لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (البقرة : 284)

وقال رسول الله (ﷺ): "إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته لله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[1].

فمن هم بحسنة فعملها كتب له أجرها وأجر نيته، ومن هم بحسنة فلم يفعلها كتب له أجر نيته، أما من هم بسيئة فعملها فيكتب له وزرها ووزر نيته، أما من هم بسيئة فلم يفعلها كتب له وزر نيته فقط. فليحرص كل منا على صلاح نيته لأنه سوف يحاسب عليها.

***–الإخلاص:**

([1]) رواه البخاري ومسلم.

الإخلاص سر عظيم بين العبد وربه، لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو شرط لقبول العمل، وقد قال الله تعالى: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (البقرة : 270).

فينبغي لكل مسلم أن يخلص في عمله ويجعله كله لله تعالى وحده لا شريك له، وأن يخلص نفسه من الرياء، والشرك بنوعيه.

فقد قال الله تعالى: ((لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ)) (الحج : 37).

***-المال الحلال:**

ينبغي أن يكون المال المنفق في سبيل الله تعالى حلالا، لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، فقد قال رسول الله (ﷺ): "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا". وقال (ﷺ): " لا يقبل الله صدقة من غلول"[1].

بل ينبغي على الإنسان أن يتخير خير ماله وأحبه إليه لينفق منه في سبيل الله تعالى حتى يصل إلى مرتبة الأبرار، فقد قال الله تعالى: (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران : 92).

وقد فهم السلف الصالح رضوان اله عليهم هذا المعنى جيدا وعملوا به، فقد قال أنس بن مالك ﷺ: كان أبو طلحة أكثر أنصاري المدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء –أرض بالمدينة– وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله (ﷺ) يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية: (لَن

([1]) رواه مسلم في صحيحه.

تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران : 92).

قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول: ((لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ))، وإن أحب أموالي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها حيث أراك الله، فقال رسول الله (ﷺ): " بخ بخ!، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين" فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها في أقاربه وبني عمه"[1].

وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل، وكان بعض رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه لوجه الله، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن! والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول لهم ابن عمر: من خدعنا بالله انخدعنا له!!.

وذات يوم نزل بالجحفة وهو مريض فاشتهى سمكا، فلم يجدوا إلا سمكة واحدة، فلما قربت له أتى مسكين حتى وقف عليه، فقال له ابن عمر: خذها، فقال له أهله: سبحان الله قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه، فقال: إن عبد الله يحبه!!.

***–عدم المن والأذى:**

من آداب المنفق ألا يمن على من يتصدق عليه، وألا يؤذيه بالقول أو الفعل، لأن ذلك سبب في إبطال الأجر، فقد قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ

([1]) متفق عليه.

بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) (البقرة : 264).

بل إن من ينفق أمواله في سبيل الله تعالى ثم لا يتبع عمله هذا بالمن والأذى فإن له أجره عند الله تعالى، علاوة على الأمن وعدم الخوف يوم الفزع الكبر، بل والفرح والسعادة، والتخلص من الحزن والهم فقد قال الله تعالى: ((الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)) (البقرة : 262).

والمن على من تتصدق عليه يحبط الأجر ويمحق الحسنات، وينبغي أن تعلم أنك لا تنفق من مالك، بل هو مال الله الذي استخلفت فيه، وهو قادر على أن ينزعه منك، واعلم أنك مبتلى بهذا المال، فإما أن تدخره لآخرتك، وإما يكون عليك وبالا في الدنيا والآخرة.

واعلم أن المن هو أحد أنواع الأذى التي نهى الله عنها، واجعل عطيتك لله وابتغاء مرضاته، ولا تنتظر شكر إنسان، أو تحاول أن تستميل عطفه نحوك، أو تستغل حاجته وتحقق لنفسك نفعا أو تدفع ضرا، فإنك إذا فعلت ذلك لم يكن عملك خالصا لوجه الله تعالى، وصار فيك خصلة من خصل النفاق، وتسرب الرياء إلى قلبك والعياذ بالله تعالى.

واعلم أخي المنفق أنك إذا ابتغيت بإنفاقك وجه الله تعالى فإن الله تعالى سوف يجازيك على عملك الصالح في الدنيا والآخرة، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، واعلم أنك بفعلك المعروف تدخر خيرا زاد لك في دنياك وأخراك، حبذا لو كان هذا المعروف وتلك العطية في الأهل والأقربين، فقد أخبرنا النبي (ﷺ) أن من أراد أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره أن يصل رحمه، فصلة الرحم قربة لله وقربه للناس، وطريق من طرق الخير، وبابا من أبواب الجنة.

ولنا في رسول الله (ﷺ) وصحابته الكرام خير قدوة، وكان أبو بكر الصديق ﷺ ينفق عن بعض أقاربه، ولما تورط في القول في أم المؤمنين عائشة ﷺ، عزم أبو بكر على قطع الصلة والصدقة التي كان يجريها عليه، فنزل قول الله تعالى: ((وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (النور : 22)، فعاد أبو بكر إليه مرة أخرى بصدقته.

صور الإنفاق في سبيل الله

للإنفاق في سبيل الله تعالى صورة عديدة وأشكال شتى، بل يمكننا القول أن الإنفاق في أي عمل من أعمال الخير، هو في سبيل الله تعالى، ومن هذه الطرق: الزكاة، والصدقة.

ومن المجالات التي تنفق فيها الزكاة والصدقة ما ذكره الله تعالى في قوله عز وجل: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) (التوبة : 60).

وسبيل الله هو كل وجه من وجوه الخير التي يمكن إنفاق المال فيها ومن بينها ما يلي:

-تجهيز الجيوش:

وذلك للدفاع عن أرض الإسلام، وحماية الأموال والأعراض ، وإعلاء كلمة الله تعالى، ونشر دينه، فقد قال النبي (ﷺ): " من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا"[1].

-شق الطرق:

وذلك من أجل تمهيدها والتيسر على المسافرين، والمارة.

-حفر الآبار:

فقد قال النبي (ﷺ): "أفضل الصدقة سقي الماء"[2].

-نشر العلم:

([1]) متفق عليه.

([2]) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة،انظر صحيح الجامع.

فقد قال النبي (ﷺ): "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره، أو ولدا صالحا تركه، أو مصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته"[1].

-مداواة المرضى:

فقد قال (ﷺ): "داووا مرضاكم بالصدقة"[2].

-كفالة اليتيم:

فقد قال (ﷺ): "أنا وكافل اليتيم كهاتين، وأشار إلى إصبعيه السبابة والوسطى"[3].

-بناء المساجد:

فقد قال النبي (ﷺ): من بني مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة"[4].

وهناك بعض وجوه الإنفاق الأخرى، منها:

-بناء المستشفيات.

-بناء دور الإيواء لمن لا مأوى له.

-مساعدة أصحاب العاهات والعاجزين على الحياة الكريمة.

-إطعام الطعام، وخاصة في شهر رمضان، وفي أوقات المجاعات والمحن.

-إعانة المحتاج، مثل:

([1]) رواه ابن ماجة، انظر: صحيح الترغيب.

([2])موسوعة الحديث النبوي.

([3]) موسوعة الحديث النبوي.

([4]) متفق عليه.

*-دفع الغرامات عن الغارمين.

* -قضاء الديون عن المدينين

*- تزويج الشباب غير القادرين على نفقة الزواج.

*-حمل الرجل على دابته، أو إعانته عليها.

*-إبلاغ ابن السبيل ومن انقطعت مؤونته.

والأدلة على ذلك كثيرة، وقد سبق ذكر بعضها.

وإذا كانت الزكاة والصدقة من أهم مجالات الإنفاق في سبيل الله تعالى فينبغي أن نلقي عليهما مزيدا من الضوء، ونفرق بينهما، وهو ما سنفعله بإذن الله تعالى في الصفحات التالية:

الزكاة

الزكاة لغة مصدر (زكا) ويعني نما، فالزكاة لغة تعني النماء والزيادة والطهارة والبركة[1].

والزكاة في الشرع هي مقدار من المال يخرجه المسلم القادر المالك للنصاب إلى من يستحقه في الأوجه الثمانية التي ذكرها الله تعالى في قوله الكريم: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة : 60)).

وهي أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يتم إلا بها، فقد قال النبي (ﷺ): " بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله من استطاع إليه سبيلا"[2].

وقد استعملت كلمة صدقة في معنى الزكاة في بعض آيات القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف، حتى قال الإمام الماوردي: الصدقة زكاة والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المسمى"[3].

حكمها:

فريضة واجبة على كل مسلم بالغ عاقل مالك للنصاب، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يتم إلا بها، يثاب فاعلها ويأثم تاركها، ويكفر جاحدها أو منكرها.

([1]) انظر لسان العرب لابن منظور، مادة (زكا)، والمعجم الوسيط 398/1.

([2]) متفق عليه.

([3]) انظر الأحكام السلطانية، والباب الحادي عشر من ولاية الصدقات.

مقدارها:

يختلف مقدارها بحسب نوع المال ومقداره، وقد فصلت السنة النبوية الشريفة القول في هذه المقادير وذكرتها كتب الفقه وأفاضت في الحديث عنها، ومن أراد المزيد بهذا الخصوص وتلك التفصيلات فليرجع إليها.

الحكمة منها:

مواساة الفقراء والمساكين والمحتاجين، والتقريب بين قلوب الأغنياء والفقراء، والتآلف بين جميع أفراد المجتمع المسلم، وبث روح الألفة والتعاون بينهم، وإزالة مشاعر الحقد والكراهية والحسد، وشكر النعمة التي أنعم الله تعالى بها على العبد، وتخليص النفوس من الشح والحرص، ونشر الخير والنماء في ربوع أرض الإسلام.

الصدقة

الصدقة لغة: مادة (صدق)، وهي مأخوذة من الصدق، والتصديق، وتعني المساواة في الفعل بين القول والاعتقاد، فهي دليل على الصدق في الإيمان والتصديق بيوم الدين[1]، ولذلك قال النبي (ﷺ): " الصدقة برهان"[2] أي: دليل وحجة.

حكمها:

الصدقة أمر بها النبي (ﷺ) وحث عليها القرآن الكريم في أكثر من آية على سبيل التقرب إلى الله تعالى وابتغاء مرضاته.

مقدارها:

ليس لها مقدار معلوم، أو وقت محدد، ولكنها تشمل كل ما يفعله الإنسان من وجوه الخير، فقد تكون بالقول أو بالفعل كأن تكون كلمة طيبة أو إماطة الأذى عن الطريق، أو بذل المال، أو قضاء حاجة أو ابتسامة بسيطة في وجه أخيك عند اللقاء، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو إمساك عن شر... ونحو ذلك، مما قل أو كثر.

فالوسائل كثيرة والطرق متنوعة، والنية هي الأساس الذي تتوجه به الأعمال، وخير الأمور أدومها وإن قل.

الفرق بين الزكاة والصدقة:

الزكاة فرض يأثم من يتركه، ويكفر من يجحده، وتجب على المسلم إذا بلغ ماله النصاب المقرر شرعا، وتحققت شروطها، أما الصدقة فسنة يثاب فاعلها

([1]) انظر أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، ص: (946)، فقه الزكاة ليوسف القرضاوي، الجزء الأول

([2]) رواه مسلم في صحيحه.

ولا يأثم تاركها، وإن كان فعلها أحسن من تركها لما فيها من ثواب عظيم وأجر كبير، وفوائد جمة.

فضائل الصدقة وفوائدها

للصدقة فضل عظيم وثواب كبير، في الدنيا والآخرة، ومن ثم فقد حث عليها الإسلام وشجع على فعلها، فقد قال رسول الله (ﷺ): " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب –ولا يقبل الله إلا الطيب–فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها كما يربي أحدكم فلوه –أي مهره– حتى تكون مثل الجبل"[1].

وقال (ﷺ): "كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس"[2].

والصدقة بوصفها أحد طرق الإنفاق في سبيل الله تعالى فإن أجرها وفضلها وفوائدها في الدنيا والآخرة هي نفس الفوائد والفضائل التي ذكرناها من قبل عند الحديث عن الإنفاق في سبيل الله.

والصدقة دليل على صدق الإيمان، والتنزه عن صفة البخل، ودليل على شكر نعمة المنعم سبحانه وتعالى، وفيها إعانة للمحتاج ، وإغاثة للملهوف، وكف ذوي الحاجة، وتقوية روح الجماعة، ونشر الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وطريق موصل إلى الجنة، ونيل أعلى درجاتها بإذن الله تعالى... ولها العديد من الفوائد نذكر بعضها على النحو التالي:

–الصدقة تطهير وتزكية للنفس والمال:

فقد قال تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (التوبة : 103).

([1]) متفق عليه.

([2]) أحمد والحاكم وصححه الألباني.

-الصدقة تطفئ غضب الرب:

فقد روي في مجمع الزوائد أن النبي (ﷺ) قال: الصدقة تطفئ غضب الرب"[1].

وقال أيضا: "الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار".[2]

-الصدقة دواء وشفاء للمرضى:

فقد قال رسول الله (ﷺ): " داووا مرضاكم بالصدقة"[3].

-الصدقة لصاحبها ظل يوم القيامة:

قال (ﷺ): " المرء في ظل صدقته يوم القيامة"[4]، وقال: " سبعة يظلهم الله بظله... وذكر منهم رجل تصدق بيمينه حتى لا تعلم شماله"[5].

-الصدقة شكر على نعمة المنعم، وسبب لحفظها:

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها تلك القصة الرائعة التي ذكرها البخاري في صحيحه برقم [3277] باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، حيث ورى عن أبي هريرة ﷺ أنه قال:

" سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟. قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني الناس. قال: فمسحه، فذهب عنه فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال:

([1]) انظر صحيح الترغيب.

([2]) السابق.

([3]) متفق عليه.

([4]) متفق عليه.

([5]) متفق عليه.

الإبل، أو قال: البقر هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، فأعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب، وأعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملا، وقال يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس. قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطاه شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله؟! فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيرا فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك". [صحيح البخاري ج3/ص1276].

-الصدقة تنجي من المهالك وتقي مصارع السوء:

وقصة الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى غار شاهد على ذلك، والقصة كما ذكرها البخاري في صحيحه برقم [3278] في حديث الغار ، حيث قال: "عن بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت اعمد إلى تلك البقر فسقها. فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق، فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت

ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا" صحيح البخاري ج3/ص1278

أفضل الصدقات

كما أن الله تعالى فضل بعض النبيين على بعض وفضل بعض الشهور والأيام على بعض، وفضل بعض الأماكن على بعض، فقد فضل بعض الأعمال على بعض، بل إن العمل الواحد ليتفاضل حسب المكان والزمان، وحال من يقوم به، ومن بينها الصدقة، فأفضل الصدقات:

***–ما كان على حاجة:**

سئل رسول الله (ﷺ) عن أفضل الصدقة فقال: "جهد المقل"[1]، أي: صدقة الفقير.

وروي أن النبي (ﷺ) قال: " أفضل الصدقة جهد المقل وابدأ بمن تعول"[2].

وقال أيضا: " سبق درهم مائة ألف درهم، قالوا: كيف؟ قال: كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها"[3].

قال الإمام البغوي رحمه الله: "والاختيار للرجل أن يتصدق بالفضل من ماله، ويستبقي لنفسه قوتا لما يخاف عليه من فتنة الفقر، وربما يلحقه الندم على ما فعل فيبطل به أجره، ويبقى كلاً على الناس"[4].

ومن هنا يتبين لنا حكمة النبي (ﷺ) عندما جاءه أحد أصحابه ليوصي بثلثي ماله أو نصفه صدقة بعد مماته، فأمره النبي (ﷺ) ان ينزل إلى

([1]) رواه أحمد والنسائي وأبو داود.

([2]) رواه أبو داود.

([3]) متفق عليه.

([4]) انظر شرح السنة للبغوي.

الثلث وأخبره أن الثلث كثير وأنه إن يترك ذرته أغنياء خير له من أن يتركهم عالة يتكففون الناس.

وقال أبو هريرة ﷺ: جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا وفلان كذا، وقد كان لفلان"[1].

***-صدقة السر:**

قال الله تعالى : ((إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) (البقرة : 271).

وورد في الحديث النبوي الشريف أن سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم رجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.

فالتصدق في السر يساعد النفس على التخلص من الرياء ويعودها على فعل الخير ابتغاء وجه الله عز وجل، وفيه أيضا حفظ ماء وجه المتصدق عليه ومراعاة لشعوره وعدم إحراجه عند أخذ الصدقة، أو امتهان كرامته أمام غيره.

وفيه دليل أيضا على إخلاص المتصدق في عمله، وتخلصه من أدران نفسه ومن الشرك بنوعيه، فقد ورد في الأثر أن الرجل يأتي يوم القيامة، فيقول

([1]) رواه النسائي.

لقد تصدقت في يوم كذا ويوم كذا، فيقال له لقد تصدقت ليقال متصدق وقد قيل ويحبط أجره وعمله.

وقد قال الإمام بن القيم رحمه الله تعالى تعليقا على قوله تعالى: (إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (البقرة : 271).

الصدقة الخفية أقرب إلى الإخلاص من المعلنة..... فأخبر أن إعطاءها للفقير في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها، وتأمل تقيده تعالى الإخفاء بإتيان الفقراء خاصة، ولم يقل: وإن تخفوها فهو خير لكم، فإن من الصدقة ما لا مكن إخفاؤه كتجهيز جيش أو بناء قنطرة أو إجراء نهر أو غير ذلك... وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد والستر عليه وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة، وأن يرى الناس أن يده هي السفلى، وأنه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمن الإخلاص، وعدم المراءاة، وطلبهم المحمدة من الناس .

وكان إخفاؤها للفقير خيرا من إظهارها بين الناس، ومن هذا مدح النبي (ﷺ) صدقة السر وأثنى على فاعلها، وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة، ولهذا جعله سبحانه وتعالى خيرا للمنفق وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته"[1].

***–صدقة العلانية:**

إذا كانت الصدقة خالية من الرياء والسمعة وأخرجت علانية بقصد حث الآخرين على فعلها وبيان حاجة من يستحقها إليها فلا بأس بها، وخاصة

([1])انظر طريق الهجرتين، لابن القيم.

إذا كانت الصدقة في عمل من أعمال الخير التي تعود على المسلمين جميعا بالنفع، كحفر آبار المياه أو بناء مساجد وإصلاحها، أو بناء المدارس أو المستشفيات، وتجهيز الجيوش، أو مساعدة المنكوبين ومن ألمت بهم الملمات كالزلازل والحرائق، والفيضانات.

بل إن الصدقة في هذه الأثناء يجب أن تعلن لتكون دافعا لأبناء المجتمع على التنافس في إزالة الضر وجلب المنافع والمسارعة إلى الخيرات.

***-الصدقة الجارية:**

قال رسول الله (ﷺ): إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[1].

والصدقة الجارية هي التي يبقى أثرها ونفعها لفترات طويلة حتى بعد وفاة الإنسان، ومن ذلك ما يوقفه الإنسان من أملاكه لتكون صدقة بعد مماته على أبناء المسلمين أو في أعمال الخير، أو ما يبنيه من منشئات من ماله الخاص لينتفع بها المسلمون كالمداس والمساجد والمستشفيات، فأجره على هذا الأعمال مستمر إلى ما شاء الله تعالى ما دام ينتفع بأعماله تلك.

وقد جاء في الحديث القدسي: "يا ابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت"[2].

فالصدقة الجارية هي الصدقة الباقية التي يبقى أثرها بعد وفاة صاحبها لسنوات وسنوات.

***-الصدقة على الأهل والأولاد:**

([1]) موسوعة الحديث النبوي.

([2]) السابق.

قال رسول الله (ﷺ): " الرجل إذا أنفق النفقة على أهله يحتسبها كانت له صدقة"[1]، وقال (ﷺ): "أربعة دنانير: دينار أعطيته مسكينا، ودينار أعطيته في رقبة، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته بعلى أهلك، أفضلها الدينار الذي أنفقته على أهلك"[2].

***-الصدقة على القريب:**

الصدقة القريب من أفضل الصدقات وأعظمها أجرا، فقد قال النبي (ﷺ): " إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة"[3].

***-الصدقة على ذي الرحم الكاشح:**

قال رسول الله (ﷺ): " أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح "[4].

وقد عزم أبو بكر الصديق على قطع عطيته عن أحد أقاربه لأنه خاض مع الذين خاضوا في حادثة الإفك فلما نزل قول الله تعالى: ((وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (النور : 22). رجع أبو بكر عن رأيه وأعاد وصله وعندما سئل عن ذلك قال: إني أحب أن يغفر الله لي".

***-الصدقة في الأيام المباركة:**

([1]) رواه البخاري ومسلم.

([2]) رواه مسلم.

([3]) رواه النسائي وابن ماجة.

([4]) انظر: الترغيب والترهيب ج18/2.

مثل شهر رمضان، وعشر ذي الحجة، وأيام العيدين، فقد قال (ﷺ): "ما من أيام العمل الصالح أحب فيها إلى الله من عشر ذي الحجة"[1].

وقد خص الله تعالى شهر رمضان بالكثير من البركات والفضائل وكذا عشر ذي الحجة فيجب اغتنام هذه الأيام المباركة والإكثار فيها من الخير والعمل الصالح والإنفاق في سبيل الله عز وجل اقتداء برسول الله (ﷺ) الذي كان أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون في رمضان.

***–الإنفاق في الجهاد في سبيل الله:**

وتلك هي التجارة الرابحة فقد قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13) (الصف: 10-13).

وقال النبي (ﷺ): "من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا" [2]، وقال رسول الله (ﷺ): "أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل، أو منحة خادم في سبيل الله، أو طروقة فحل في سبيل الله"[3].

وخير أوقات الصدقة في الجهاد في سبيل الله تعالى ما كان في وقت الحاجة والقلة، كم حدث من عثمان ابن عفان ﷺ عندما جهز جيش العسرة، ويقول الشيخ سيد قطب رحمه الله: " إن الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة

([1]) موسوعة الحديث النبوي.

([2]) رواه البخاري ومسلم.

([3]) رواه أحمد والترمذي.

والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان، ولا رخاء غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة والأنصار كثر والنصر والغلبة والفوز قريبة المنازل. ذلك متعلق مباشرة لله متجرد تجردا كاملا لا شبهة فيه، عميق الثقة والطمأنينة بالله وحده، بعيد عن كل سبب ظاهر، وكل واقع قريب لا يجد على الخير أعوانا إلا ما يستمده مباشرة من عقيدته، وهذا له على الخير أنصار حتى تصح نيته ويتجرد تجرد الأولين"[1].

([1]) انظر: في ظلال القرآن.

قصص وحكايات من سير الصالحين:

والآن نتجول مع سير الصالحين، نري كيف كان حالهم مع الصدقة، وإلى أي مدى كان إنفاقهم في سبيل الله، وكيف قدموا أغلى ما يملكون، وباعوا الدنيا واشتروا الآخرة، وكيف كانت ثقتهم بالله عز وجل، الذي يربي الصدقات إلى أضعاف مضاعفة، فقد قال الله تعالى في محكم آياته: ((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (البقرة : 261).

والنظر في هذه السيرة العطرة ليس للتسلية أو الترويح، بل لاستلهام العظة والعبرة واتخاذهم أسوة وقدوة حسنة، وقد قال الله تعالى في الغاية من ذكر بعض قصص القرآن الكريم : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (يوسف : 111).

وقال عن سيدنا مُحَمَّد (ﷺ) وأصحابه: ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)) (الفتح : 29).

فطوبي لمن سلك طريقهم واقتفى أثرهم، وسار على خطاهم، واهتدى بهداهم، فكان من الفائزين في الدنيا والآخرة.

ومع أن القصص كثيرة سواء من الأنبياء المرسلين أو من الصحابة والتابعين أو غيرهم من أهل الصلاح والفلاح في كل زمان ومكان، إلا أننا

سوف نكتفي بالإشارة إلى بعض القصص والمواقف التي تؤكد على منهج هؤلاء الصالحين، وحبهم للخير ومسارعتهم لعمله، ومدى إخلاصهم لله عز وجل وحرصهم على أن تكون أعمالهم خالصة لوجهه الكريم، بعيدة عن الرياء والسمعة، لا يبتغون من أحد غير الله تعالى جزاء ولا شكورا.

فكان عاقبهم الحسنى وزيادة، وبشروا بالنعيم المقيم والفوز برضى الرحمن الرحيم، قال الله تعالى لهم: ((لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (يونس : 26).

أجود بالخير من الريح المرسلة

مُحَمَّد (ﷺ):

ضرب الحبيب مُحَمَّد بن عبد الله (ﷺ) أروع المثل في الجود والكرم، فقد كان (ﷺ) ينفق إنفاق من لا يخشى فاقة، واثقا بأن المال مال الله، وأن ما ينفقه في سبيل الله هو ما يبقى، والأمثلة على ذلك كثيرة، لا يمكن حصرها، فما سئل (ﷺ) أبدا شيئا وقال لا، ولم يرد سائلا قط، بل إنه قد يبيت وأهل بيته طاويا ويؤثر أصحابه بما عنده، وربما مر الشهر والشهرين ولا يوقد في بيته نارا.

وعندما كان يذبح (ﷺ) ذبيحة كان يفرقها جميعا على فقراء المسلمين ولا يبقي منها شيئا إلا على قدر قوت أهل بيته في يومهم هذا، وذات مرة سأل إحدى زوجاته وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ذبيحة ذبحها، فقال: "كم بقي منها؟ فقالت: ما بقي إلا كتفها، فقال: "بل بقيت كلها إلا كتفها"، يعني أن ما أخرجه وتصدق به على الفقراء منها هو الباقي، أما ما بقي لأهله من طعام فليس باقيا.

وربما أهدي إليه هدية فلا يقوم من مجلسه حتى يفرقها بين أصحابه، حتى عرف بأنه أجود الناس وأكرم الناس، وقد وصفه بعض الأعراب عندما خرج من عنده وقد قضى حاجته وسأله بعض أصحابه عنه فقال: إنه يعطي عطاء من لا يخشى فاقة.

ولم يكن (ﷺ) ليترك فرصة من فرص التصدق أو حث أصحابه على الصدقة تفوته أبدا، وإن مع ذلك كله لا يأكل من الصدقة، ولا يستطيب طعاما قط إلا من عمل يده، ويرشد أصحابه إلى أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد التي تعطي خير من اليد التي تأخذ ليعودهم بذلك على عفة النفس، وعلو الهمة، وعلى ضرورة السعي من أجل الكسب الحلال، وإغناء النفس عن

ذل السؤال، فكم من مرة حذر فيها من ذل المسألة، وأخبر أنها تأتي نكتة سوداء في وجه صاحبها يوم القيامة.

وكم من مرة أرشد الشباب للعمل وحببهم فيه وحثهم عليه وعلمهم طرقه، وضرب أروع المثل في الصبر وقوة التحمل والعطاء بغير حدود.

بل وأرشد أصحابه إلى كثير من طرق الصدقة ومجالات الإنفاق في سبيل الله وحببهم إليها، حتى وإن كانت بسيطة إلا أن فيها الخير والنفع الكثير...

فجعل في عمل الرجل وإنفاقه على من يعول صدقة، واللقمة يضعها الرجل في فم زوجته صدقة، وفي معاشرة الرجل لأهله صدقة، وفي إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة، وكف اللسان عن الشر صدقة، وتبسم المرء في وجه أخيه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة.

فليت شعري كم صدقة وكم طريق من طرق الخير أرشدنا إليها الهادي إلى الحق، ومعلم الإنسانية ومنقذ البشرية مُحَمَّد (ﷺ)، ضيعناها بجهلنا وتكاسلنا.

وكم من ثواب حرمنا أنفسنا منه، ومكاسب جمة خسرناها، بتمادينا في غينا وضلالنا وعدم اتباعنا لنهج نبينا (ﷺ).

ألم يقل الله تعالى لنا: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)) (الأحزاب : 21)؟!.

ألم نتذكر يوما قول الحق تبارك وتعالى: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (آل عمران : 31)؟!.

فاتباع الرسول والسير على طريقته هو الدليل على الحب الصادق لله ورسوله، وهو الطريق المؤدي إلى حب الله تعالى لنا، ومغفرة الذنوب كما ذكرت الآية الكريمة.

يترك ماله كله لله

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه):

استحق أبو بكر رضي الله عنه لقبه الذي لقبه به رسول الله (ﷺ) عن جدارة، فقد كان رضي الله عنه صادق القول والفعل، وصادق الإيمان، استطاع بفضل صحبته للنبي (ﷺ) أن يكون صديقا صدوقا، وأن يصل إلى مرتبة الصدِّقين، وهي صفة من صفات الأنبياء والصالحين، بل هي مقدمة على صفة النبوة، ولم يصل إليها إلا من شاء الله تعالى من نبي أو رسول، فقد قال الله تعالى: ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً) (مريم : 41)، وقال : ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً) (مريم : 56).

ولم يكن صدق إيمان أبي بكر رضي الله عنه وحسن إسلامه وليدا للحظة معينة، بل كان صفة ملازمة له طوال حياته، وقد دلت عليها مواقفه المشرفة مع الرسول (ﷺ) منذ بداية الدعوة وحتى بعد وفاة النبي (ﷺ)، وظلت ملازمة له حتى مماته.

فها هو ينفق من ماله الخاص أمولا كثيرة ليشري من اشتد بهم إيذاء كفار قريش وتعذيبهم ممن آمن من الضعفاء والعبيد من أمثال بلال بن رباح رضي الله عنه وغيره من المسلمين المستضعفين.

فلم يطق أبو بكر رضي الله عنه أن يرى هؤلاء الضعفاء مكبلين في الأغلال يسحبون على وجوههم على رمال مكة الساخنة في لهيب الشمس الحارق، ولم يتحمل منظر السياط وهي تهوي على أجسادهم فتمزقها تمزيقا، وتكوى بها جلودهم، ومع ذلك كله يراهم صابرين محتسبين ما أصابهم من محنة عند الله تعالى، فاشترى ما قدر عليه منهم واعتقه لوجه الله تعالى.

وعندما أخبره النبي (ﷺ) بأمر الهجرة طار فرحا لأن النبي (ﷺ) اختاره رفيقا له في رحلته، فلم يدخر وسعا في الإنفاق من ماله الخاص على تجهيز متطلبات الهجرة من راحلة وزاد.

وبعد تمام الهجرة واستقرار الرسول وأصحابه بالمدينة المنورة نجد أبا بكر ﷺ يسارع إلى أخذ جميع ماله ويلقي به في حجر النبي (ﷺ) ليتصرف فيه كيف يشاء فيما يخص المسلمين عندما ضاقت الحال بالمسلمين في المدينة، وعندما يسأله النبي (ﷺ) ماذا ترك لأولاده يجيب جواب الواثق بالله تعالى ومن اطمأن قلبه بالإيمان فيقول: تركت لهم الله ورسوله.

فقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "أمرنا رسول الله (ﷺ) أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي ... وجاء أبو بكر بماله كله، فقال رسول الله (ﷺ): "ما أبقيت لأهلك؟" فقال (أبو بكر): أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقه إلى شيء أبدا[1].

([1]) رواه أبو داود والترمذي.

يترك نصف ماله

الفاروق عمر بن الخطاب (ﷺ):

وإن لم يكن عمر بن الخطاب من أهل الثراء، وأصحاب التجارات الكبيرة، إلا أنه كان في سيرته وتصرفاته وحسن تدبيره وحكمته أمة وحدة، يضرب به المثل، وتدرس سيرته للقادة والزعماء والساسة والمصلحين، وكان جديرا بأن يلقب بالفاروق، وكفاه عزا وشرفا أن يوافق رأيه ما ينزل من القرآن الكريم.

وقد كان مسارعا للخير سباقا إليه شأنه شأن كثير من صحابة النبي (ﷺ)، فها هو يترك نصف ماله لله عز وجل، كما مر في الحديث السابق، وينافس أبا بكر الصديق ﷺ في الإنفاق، وعندما يتولى الخلافة نجده مثالا للعدل، والرحمة، والتعفف، عن مال المسلمين، مهما كان بسيطا.

لقد فهم الفاروق ﷺ أن الصدقة لا تكون بالمال فقط، وإنما لها وجوه كثيرة، فانتهز الفرصة وحكم فعدل، وأصلح من شأن المسلمين، وانتصر للضعفاء والمظلومين، وأقال عثرة المتعثرين، وطبق شرع الله وسنة نبيه الكريم حتى على نفسه وولده، ولم تأخذه في الحق لومة لائم.

بل إنه لم يستح وهو أمير المؤمنين أن يحمل الدقيق والطعام على ظهره، ويذهب به إلى امرأة في أطراف المدينة تعاني الفاقة وتشكو الفقر، ويجلس عندها يطبخ وينفخ في النار حتى ينضج الطعام ويطعمها ويطعم أولادها.

يجهز جيشا كاملا

ذو النورين عثمان (ﷺ):

تخرج عثمان بن عفان ﷺ في المدرسة التي تخرج فيها صاحبيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وهي مدرسة النبوة، القائد والمعلم

فيها خير البرية وصفوة الخلق وخاتم الرسل وأكرم الناس وأجودهم، وأصدقهم قولا وحديثا، ولم يكن عثمان بما تعلمه من خلق الرسول (ﷺ) وصحبته له وقد آتاه الله مالا وفيرا، وبارك له في تجارته ليقف موقف المتفرج والمسلمون من حوله يتضورون جوعا أو يعانون في سبيل الحصول على شربة الماء.

فقد كان عثمان (رضى الله عنه) من أثرياء قريش المعدودين، ومع ذلك لم يلهيه حب المال عن القيام بواجبه تجاه مجتمعه وتجاه دينه، فكان مثلا للغني المنفق في سبيل الله، ومثلا لرجل الأعمال الشريف الذي يعرف التزاماته تجاه مجتمعه ودينه، عندما تمر بهم الأزمات والمحن.

فعندما رأى المسلمين يعانون في سبيل حصولهم على الماء من بئر مملوكة ليهودي ذهب له وساومه على شراء البئر وأعطاه ما يزيد عن ثمنها بعدة أضعاف ثم أوقفها للمسلمين جميعا ينتفعون بها واحتسب الأجر والثواب عند الله تعالى.

وعندما أراد النبي (ﷺ) أن يجهز جيشا للغزو في سبيل الله، وكانت أحوال المسلمين المادية في ذلك الوقت لا تسمح لهم بذلك، انبرى عثمان رضي الله عنه وتكفل بتجهيز هذا الجيش كاملا بما يحتاجه من نفقة وسلاح ودواب من ماله الخاص، وهو ما عرف تاريخيا بجيش العسرة، فصار بذلك مثلا يحتذى ونجما يهتدى به في الجود والكرم، وكثرة الإنفاق في سبيل الله. واستحق عن جدارة أن تستحي منه الملائكة، ويستحي منه خير البشر ومعلم الإنسانية مُحَمَّد (ﷺ).

ويؤثرون على أنفسهم

هكذا يكون الإيثار على النفس مهما عظمت الحاجة، وقلت ذات اليد، إنهم فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، إنهم حقا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، واستحقوا أن تخلد ذكراهم وتكتب بمداد من نور، ويبشروا بالنعيم المقيم والجزاء الجميل على هذا الصنيع، فكان عملهم مقبولا، وسعيهم مشكورا وذنبهم مغفورا، هم من صفت سرائرهم وجادت أنفسهم بكل ما يحبون ابتغاء وجه الله تعالى، لا ينتظرون شكرا من مخلوق، ولا جزاء من أحد سوى الله عز وجل.

إنه لحظات إيمانية صادقة تلك اللحظة التي يستغني فيها الإنسان عن أهم مقومات الحياة، والبقاء، وهو الطعام، وخاصة بل طول اشتياق له، فالإنسان قد يستغني عن كثير من الأشياء أما أن يستغني عن سبب وجوده ومقومات بقائه في الحياة فهذا أمر صعب، هؤلاء الأبطال استطاعوا ذلك، استغنوا عن مقومات حياتهم وتصدقوا بها ابتغاء وجه الله عز وجل، فعوضهم الله خيرا مما استغنوا عنه، وأبدلهم خيرا منه، وجزاهم بصبرهم ما تقر به أعينهم ويثلج صدورهم، قال الله تعالى في وصف هؤلاء وما لاقوه من جزاء حسن لما فعلوه: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً (9) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (11) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (12) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً (13) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (14) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (17) عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (18) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ

نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً (20) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً (22)) (سورة الإنسان: 8-22).

فلله درُّهم تصدقوا بلقيمات فأجرت عليهم نعمات ونعمات، فهل لنا في هؤلاء عبرة، وهل اتخذناهم أسوة وقدوة، خاصة وأن كثيرا من الولائم في عصرنا هذا ينفق عليها الكثير والكثير من المال، ويهدر فيها طعاما يكفي لإطعام الألوف من الجائعين والمحرومين، والضعفاء.

يتاجر مع الله

صهيب الرومي (رضي الله عنه):

لقد ضرب صهيب الرومي رضي الله عنه أروع المثل في صدق الإيمان و والتضحية بكل غالٍ من أجل الحفاظ على العقيدة، وللنظر إلى أعلى حد بلغت به التضحية بالنفس والمال، وكيف اختار الآخرة وفضلها على الدنيا، واختار القرب من رسول الله (ﷺ) وآثره عن البعد عنه.

لقد كان صهيب رضي الله عنه مملوكا لأحد سادات قريش، إلا أنه استطاع بصبره وحكمته أن يقنع سيده بمكاتبه، على أنم يعمل ويجتهد حتى يحرر نفسه من الأسر، فكان له ذلك، وتحققت أمنيته في أن يخل قيد العبودية ويصير مثله مثل أحرار قريش وساداتها، بل وأصبح صاحب تجارة كبيرة، ومال وفير صخر معظمه في خدمة الدعوة الإسلامية، ولما هاجر الرسول (ﷺ) من مكة على المدينة، لم يطق صهيب رضي الله عنه العيش بعيدا عن رسول الله (ﷺ)، فعزم أمره وحمل أمتعته وهم بالخروج من مكة ليحق بالنبي (ﷺ) وأصحابه بالمدينة، وهنا يقع الابتلاء الذي كشف عن شخصيته العظيمة.

فقد آلم كفار قريش أن يتحرر هذا العبد من رقه، وأن يصبح تاجرا كبيرا وذا مال وفير ، وآلمهم أن يخرج بهذا المال فيلحق بالمهاجرين ومن ثم يتقون بهذا المال، فاجتمع صناديد الكفر عليه وخيروه بين البقاء بينهم وبإبقاء ماله لديه، أو الخروج عنهم دون مال!!.

ولنا أن نتخيل هذا الموقف الصعب على النفس الإنسانية خاصة وأنه قد جمع هذا المال بعد طول عناء وسهر ليال طوال، وكد وتعب ليلا ونهارا!!.

إلا أن مواقف الشدة تكشف عن معادن الرجال، وتبين حقيقة النفوس، وتظهر أصحاب الهمم العالية والنفوس الراضية، وكان صهيب رضي الله عنه من

هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولم يثنيه حب المال عما عزم عليه، ولم يقعده التهديد عن الخروج والمهاجرة في سبيل الله، واستهان كل ما بذله من جهد وما لاقاه من معاناه، وما ذاقه من ذل الأسر أما لحظة يلقى فيها رسول الله (ﷺ) ويعيش بحواره، وينهل من علمه وحكمته، ويمتع ناظريه برؤيته، فلم يتردد لحظة في أن يختار الثانية، ويعطي الكفار كل ماله ومتاعه ويخرج بنفسه مهاجرا لله ورسوله وابتغاء مرضاته، واختار أن يتاجر مع الله تعالى، فكان جديرا بأن يبارك الله ورسوله (ﷺ) تجارته، ويبشره النبي (ﷺ) بأن تجارته تلك تجارة رابحة، ويكرر على مسامعه أمام من حضر من الصحابة تلك تجارة رابحة، ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب....

فمن منا في عصرنا هذا يتخلى عن جزء بسيط من ماله ولو دراهم معدودة، لله وفي سبيل الله، ومن لديه تلك العزيمة وذلك الصدق مع الله أولا ثم مع النفس ثانيا لفعل مثل هذا الصنيع، الذي يستحق أن يسجل بمداد من نور؟!!.

في مدرسة النبوة

إنه بيت النبوة، الذي يشع نوره على كل مكان، فيحنو على الضعيف، ويواسي اليتم والمسكين، ويعين المحتاج، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، إنها مدرسة تخرج أجيالا وأجيال من الرجال والنساء، وتؤهلهم لحمل الرسالة وتبليغ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة.

لم تكن زوجات النبي (ﷺ) لتقف موقف المتفرجات وهو يحدث أصحابه عن فضل الصدقة والإنفاق في سبيل الله، ويسارع قبله إليه، ويحدثهم في دخوله وخروجه عليهن بذلك، أو وهو يقول لهن أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا، وكلهن يحببنه حبا عظيما قد ملك عليهن جميع جوارحهن، وكل واحدة منهن تتسابق مع غيرها لتكون رفيقته في الجنة.

فقد علمن جميعا وتربين في بيت النبوة، وتأثرن بني الرحمة، فكن لا يدخرن وسعا في الإنفاق في سبيل الله والمسارعة إلى الخير والتصدق ولو بشق تمرة، حتى لو كلفهن ذلك أن يبتن الأيام والليالي طاويات.

والناظر في سيرة زوجات النبي (ﷺ)جميعهن يدرك هذا الأمر جيدا، فها هي أم المؤمنين الطاهرة خديجة بنت خويلد صاحبة الثراء تواسى المسلمين والمستضعفين بمالها منذ زواجها من النبي (ﷺ) وحتى وفاتها وانتقالها إلى الرفيق الأعلى.

وها هي أم المؤمنين عائشة ﵂ تعطر الصدقة قبل إخراجها، وتعلم من حولها أن الصدقة تقع في يد الله أولا قبل أن تقع في يد المسكين.

وها هي أم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂، لا يمر عليها يوم دون أن تتصدق، فتلقب بأم المساكين، لكثرة عطفها عليهم ورعايتها لهم.

ولمن تكن زوجات النبي (ﷺ) الأخريات بمنأى عن هذا الأمر، فقد كن جميعا أكثر النساء حرصا على فعل الخير والتقرب إلى الله بصالح الأعمال، فرضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين.

يدخل الجنة بسبب كلب

كما ذكرنا فمجالات الصدقة كثيرة، لا يمكن حصرها، ولا ينبغي أن يستهين المرء بقيمة العمل الصالح الذي يفعله لوجه الله تعالى، فرب عمل يسير أورث صاحبه سرور كبير، فقد روي عن النبي (ﷺ) أن رجلا دخل الجنة بسبب كلب سقاه، وأن امرأة دخلت النار في هرة حبستها.

فقد روى أبو هريرة ﷺ، عن النبي (ﷺ) أنه قال: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فغفر الله له..." [1].

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها لا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض"[2].

يا الله...!! سقيا كلب تغفر الذنب، فما بالنا بمن سقى المسلمين والمستضعفين، وأبناء السبيل، وما بالنا بمن سعى جاهدا لحفر الآبار وشق

([1]) رواه البخاري في صحيحه برقم (5663).

([2]) رواه البخاري في صحيحه برقم (3140).

القنوات ليروي الزرع والطير والإنسان... إنه حقا لمن المسرورين الفائزين المبشرين بدخول الجنة وتبوء أعلى مراتبها.

وتعسا لعبد تسبب في إيذاء نفس وتعذيبها بالقول أو بالفعل حتى لو ظن أنه غير قاصد لذلك، أو ادعى أنه لديه أسبابه ومبرراته لاتخاذ هذا الأمر والتصرف على هذا النحو...!!.

تدخل النار في هرة منعتها حقها في الحرية والطعام، ... فما بالنا بمن يمنع حقوق المسلمين، ويحتكر أقواتهم، ويتلذذ بتعذيبهم...؟!!.

صدقة بلا تكاليف:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال، قال رسول الله (ﷺ): " على كل مسلم صدقة"، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق"، قال: قيل أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف". قال: قيل له : أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "يأمر المعروف أو الخير" قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة"[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله (ﷺ) على كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، قال تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"[2].

ولنا مع هذين الحديثين الشريفين وقفة، فقد ذكر بهما العديد من صور الصدقة التي لا تكلف صاحبها شيئًا سوى النية، لأن الأعمال معقودة بالنيات، فلو عمل المرء في حرفته بقصد الكسب الحلال وبنية التصدق بما يزيد عن حاجته كان عمله صدقة، ولو أعان ذا الحاجة الملهوف وقدم له أي نوع من أنواع المساعدة ولو بالكلمة كانت له صدقة، ولو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر كان له صدقة، ولو كف نفسه عن الشر كان له صدقة، ولو عدل بين الاثنين كان له صدقة، ولو أماط الأذى عن الطريق كان له صدقة، ومشى إلى المسجد أو في قضاء حاجة لمسلم كان له بكل خطوة يخطوها صدقة، ولو أعان الرجل

([1]) رواه البخاري ومسلم.

([2]) رواه البخاري ومسلم.

على دابته كان له صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة.

إنها مجالات وميادين كثيرة يمكن للمرء أن يضاعف بها حسناته ويمحو سيئاته بلا تكاليف ودون أنة يبذل قرشا واحدا، أو يتحمل أية تكلفة مادية، أو أعباء إضافية...

فما أجمل الابتسام عند اللقاء!... وما أسهل إمساك اللسان عن قول الشر أو الخوض فيما لا فائدة فيه!... وما أحلاها تلك الخطوات التي يخطوها المرء في طاعة الله تعالى!... وما أبسط إماطة الأذى عن الطريق!... وما أكرم وأنبل المسارعة إلى إغاثة الملهوف وقضاء حاجته!.... وما أسعد اللحظات التي تقضى في إدخال السرور على قلب مسلم!.

حكاية الصياد والسمكة

يحكى أن رجلا اسمه أبو نصر الصياد كان يعيش في ضنك من العيش وفقر شديد، فخرج ذات يوم طالبا الرزق فأعياه ذلك حتى ضاقت به السبل فمر مر بأحد التابعين واسمه أحمد بن مسكين وهو من العلماء الأجلاء فشكى إليه حاله، فأمسك به الشيخ من يده وأخذه إلى البحر فلما وصلا إلا الشاطئ توضأ وصلى معه ركعتين، وقال: بسم الله... ثم رمى الشبكة، فخرجت بسمكة عظيمة، فقال له : خذها واذهب إلى السوق فبعها واشتر لأهلك طعاما وكساءً، ففرح بها الصياد فرحا شديدا وذهب إلى السوق وباع السمكة واشترى فطيرتين، وقرر أن يطعم الشيخ إحداهما، فذهب إليه وعرض عليه إحداهما، فلم يقبل الشيخ ، وقال له لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة، وأمره أن يذهب بهما إلى أهله، ففعل الرجل..

وبينما هو في طريقه إذا بامرأة تحمل بين يديها طفلا صغيرا وقد بلغ بهما الجوع مبلغا عظيما، ونظرا إلى الفطيرتين في يده، فقال في نفسه: لقد بلغ الجوع من هذين مثل ما بلغ من زوجتي وولدي، فلمن أعطي الفطريتين؟!!.

ولم يتحمل منظر الدموع تنهمر من عيني الصغير وأمه فأعطاهما الفطريتين واحتسب عند الله، فتهلل وجه المرأة وصبيها بالبشر والفرح ودعت له سرا وجهرا، وأكمل الرجل سيره إلى بيته وهو يحمل همه ولا يدري كيف يدخل على أهله بغير طعام...

وبينما هو على هذه الحال، إذا به يسمع رجلا ينادي : ألا من يدلني على أبي نصر الصياد؟ فدله الناس عليه، فقال الرجل له: إن أباك قد أقرضني مالا منذ عشرين سنة.. ثم مات ولم استدل عليه، خذ يا بني ثلاثين ألف درهم مال أبيك.

يقول أبو نصر الصياد: وتحولت إلى أغنى الناس وصارت عندي بيوت وتجارة وصرت أتصدق بالألف درهم في المرة الواحدة لأشكر الله.

وأعجبتني نفسي لأنني كثير الصدقة، فرأيت في المنام أن الميزان قد وضع، وينادي منادي: أبا نصر الصياد.. هلم إلى ميزانك ووزن حسناتك وسيئاتك!.

ويتابع أبو نصر حديثه قائلا: فوضعت حسناتي وسيئاتي فرجحت السيئات فقلت: أين الأموال التي تصدقت بها؟! .

فوضعت الأموال، فإذا تحت كل ألف درهم شهوة نفس أو إعجاب بنفس، كأنها لفافة من القطن لا تساوي شيئا، ورجحت السيئات.

وبكيت وقلت: ما النجاة؟!.

فإذا بي أسمع المنادي يقول: هل بقي له من شيء؟.

فيقال: بقي له فطيرتان، فيقول: ضعوهما في كفة الحسنات فرجحت كفة الحسنات حتى ساوت السيئات.

فيقول الملك: هل بقي له شيء؟ فيقال: نعم، بقي له دموع المرأة حين أعطى لها الفطيرتين، فتوضع في الميزان فإذا بها كحجر فثقلت كفة الحسنات، ففرحت، وإذا بي أسمع المنادي يقول مرة أخرى: هل بقي له شيء، فيقال نعم: ابتسامة الطفل حين أعطي الفطيرتين، وترجح كفة الحسنات وترجح، فينادي المنادي قائلا: لقد نجا.. لقد نجا، فاستيقظت من نومي وأنا أقول: لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!.

سر العقد الثمين

روى ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى عن مُحَمَّد بن عبد الباقي البزار قال: كنت مجاورا بمكة حرسها الله فانقطعت مؤونتي وأصابني جوع شديد، فخرجت ألتمس شيئا أدفع به عني الجوع فوجدت كيسا مشدودا بشرابة من أبريسم[1]، وجئت به إلى بيتي فحللته فإذا به عقد من اللؤلؤ لم أر مثله قط، فتركته وخرجت، فإذا بشيخ ينادي عليه معه خرقة بها خمسمائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يرد علينا اللؤلؤ.

فقلت في نفسي: أنا محتاج وجائع فآخذ الذهب انتفع به وأرد عليه كيسه، فقلت له: تعال إليَّ، فأعطاني علامة الكيس فدفعته إليه، فسلم إلى خمسمائة دينار ذهب، فلما أخذتها قلت في نفسي: عمل عملته لوجه الله لا آخذ عليه أجرا أبدا ، فأعدته إليه، فقال لي:لا بد أن تأخذه، فلم أقبل وتركني ومضى.

ثم إني خرجت من مكة عائدا إلى بلدي فركبت البحر فانكسر المركب وغرق كل من فيه، فبقيت مدة في البحر متعلقا بقطعة من المركب، حتى أوصلتني إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد فسمعوني أقرأ، فلم يبق أحد في الجزيرة إلا جاء وقال: علمني القرآن.

ثم أخذت أعلم صبيانهم الكتابة فحصل لي بذلك شيء كثير من المال.

وفي يوم قالوا لي: عندنا صبية يتيمة وعنده شيء من الدنيا نريدك أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لابد وألزموني.

([1]) نوع من الحرير.

فلما زفوها إلي نظرت إليها فوجدت العقد الذي وجدته في مكة معلقا في رقبتها، فما كان لي من شغل إلا النظر إليه، فقالوا: يا أيها الشيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ولم تنظر إليها!.

فقلت لهم: إن لهذا العقد قصة، فقصصتها عليهم، فصاحوا بالتكبير والتهليل، فقلت: ما بكم؟.

قالوا: ذاك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو الصبية، وكان يقول: ما وجدت مسلما مثل الذي رد علي هذا العقد، اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه ابنتي، فاستجاب الله دعاءه، ولكن سبق الكتاب أجله[1].

([1]) الذيل على طبقات الحنابلة، ص: (195-197).

الخاتمة:

كانت هذه وقفات مع الإنفاق في سبيل الله والصدقة، وبيان فضلهما، وسير الصالحين فيهما، رأينا من خلال هذه الجولة البسيطة كيف كان خلق الأنبياء والصالحين، وكيف كانت الصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى سبيلا لبلوغ أعلى المراتب، وطريقا موصلا للجنة والفوز برضى الله تعالى.

ورأينا من خلالها أن وجوه الإنفاق في سبيل الله كثير ، وأن مجالات الصدقة متعددة، كيف كانت الصدقة، وأن الإنسان يستطيع أن يتصدق بالكثير من الأشياء دون تكاليف ودون أن يخسر قرشا واحدا من جيبه، وتعلمنا أيضا من خلالها أنا الإنفاق في سبيل الله تعالى أعظم كنز يدخره الإنسان في حياته وبعد مماته، وأن ما أنفقه اليوم سوف يعود إليه أضعافا مضاعفة.

وفي الختام أرجو من الله تعالى أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم وابتغاء مرضاته، وأن يجعله في ميزان حسنات كاتبه، وناشره، ومن عمل به، وأن يكتب له ولجميع المسلمين، الخير والسداد، إنه كريم منان عظيم الإحسان، ذو الجلال والإكرام...،،،

المؤلف

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-الحدائق لابن الجوزي.

-الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي.

-رجال حول الرسول لخالد مُحَمَّد خالد.

-زاد المعاد لابن القيم.

-السيرة النبوية لابن هشام.

-طريق الهجرتين لابن القيم.

-عدة الصابرين لابن القيم.

-فقه السنة للسيد سابق.

-الفوائد لابن القيم.

-في ظلال القرآن لسيد قطب.

-لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي.

-موسوعة الحديث النبوي الشريف.

-موسوعة الإمام بن أبي الدنيا.

-نضرة النعيم للأصفهاني.